﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨﴾ [الأنبياء: 68]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لَمّا بيَّن اللّهُ تعالى ما أظْهرَه إبراهيمُ ﷺ من دلائل التَّوحيد، وإبطالِ ما كانوا عليه من عبادة التَّماثيل؛ أتبعَه بما يدلُّ على جَهْلِهم، وأنَّهم قالوا: حرِّقوه وانْصُروا آلهتكم[1].

عندما يُبهَتُ الظّالمون يستخدمون البَطْشَ والتَّعذيب

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿حَرِّقُوهُ﴾: (حرق) قولُهم: حرَقتُ الشَّيءَ إذا بَرَدْتَ وحَكَكْتَ بعضَه ببعض، قال تعالى: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾ [طه: 97]؛ أيْ: لَنَبردَنَّه بالمبارِد، والحَرَقُ: النّار، وتحرَّقَ الشَّيءُ بالنّارِ واحْترَقَ، والاسْمُ: الحُرْقةُ والحَريق[2].

2) ﴿وَٱنصُرُوٓاْ﴾: نَصَرَهُ على عَدُوِّه ينصُرُهُ نَصْرًا، والاسْمُ النُّصْرة، النَّصْرُ والنُّصْرَةُ: العَوْن، قال تعالى: ﴿نَصۡرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞ﴾ [الصَّفّ: 13]، ونُصْرَةُ اللّه للعَبْد ظاهرة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: 51][3]، وقوله تعالى: ﴿وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ﴾؛ أي: انْصروها بالانْتقامِ من إبراهيمَ ﷺ الَّذي فعل بها ما فعل من التَّكسيرِ والإذلال[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

عَجْزُ الظّالمينَ عن مُقارعةِ الحُجَّةِ بالحُجَّة يدفعُهم للانْتقام

قال بعضُهم لبعضٍ لَمّا أعْيَتْهُمُ الحيلةُ في دفعِ إبراهيمَ ﷺ، وعجزوا عن مجادلتِه، وضاقتْ عليهم مسالكُ المناظرة: حرِّقوا إبراهيم، انْصرافًا منهم إلى طريق الظُّلم والغَشم، وميلًا منهم إلى

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 22/ 157.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّازي، مختار الصّحاح: (حرق).
(3) الرّاغب، المُفردات، والرّازي، مختار الصّحاح: (نصر).
(4) الشّوكاني، فتح القدير: 3/ 567.

إظهارِ الغَلَبَة بأيّ وجهٍ كان، وعلى أيِّ أمرٍ اتَّفق، ولهذا قالوا: انْصروا آلهتَكم من إبراهيمَ الَّذي كسَّر أصنامَكم وأذلَّها[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصلِ الجملة في صدر الآية:

المُبْطِلُ إذا قُرِعت شُبهتُه بالحُجَّةِ لجأ إلى المناصَبة

قولُه تعالى: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ اسْتئنافٌ بعد اتّصالٍ مفهومٍ من السّياق، تقديره: (قال بعضُهم لبعضٍ لَمّا عجزوا عن المحاجَّة: ﴿حَرِّقُوهُ﴾)، وهذا دَيْدَنُ المُبطِلِ المحجوجِ[2]، وهم قد صرَّحُوا لإبراهيم بما قصدَه من أمرهم بسؤال كبير الأصنام نوعَ تصريحٍ في قولهم: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾، وهو عليه السلام قد استثمر ذلك، بتوجيههم توجيهًا لطيفًا إلى الموازنة بين معبودهم ومعبوده، ثم علَتْ نبرةُ حِجاجِ إبراهيم وانفعالِه بالتوحيدِ مع ضميمة شديد كرهه لغيره؛ فأبدى تضجُّره بالقول والفعل المحسوسَيْن على ما تُفهِمه القراءات الثلاث في قوله: ﴿أُفٍّ﴾؛ فكان ذلك كلُّه من شأنه أن يُحرِّك المُتلقّين إلى أن يسألوا عن موقف القوم من ردِّ إبراهيم، فكانت هذه الآية استئنافًا بيانيًّا.

سرُّ إيثارِ الفعل ﴿حَرِّقُوهُ﴾ مادَّةً وصيغةً:

الحُجَّةُ مُحرِقةٌ، والنـارُ كـذلك مُحرِقةٌ

التَّحريقُ: المبالغة في الإحراق، ولذلك قالوا: حرِّقوه، فهم يريدون المبالغةَ في تعذيبه بالإحراق - أيْ حرقًا مُتلفًا - وإكثارِ حَطَبِه؛ لما في قلوبهم من المبالغةِ في كُرهه، فقد امتلأتْ قلوبُهم غَيْظًا وحِقْدًا على خليلِ الله عليه السلام، وجعلوا ذلك التَّحريقَ في مقابلِ ما قامَ به من تكسيرٍ وتحطيمٍ لأصنامهم، حتَّى جعلَها جُذاذًا فتاتًا مُتكسِّرًا تفرَّقت أجزاؤها[3]، وذلك أنه قد أحرق قلوبهم بنيران محاجَّتِه وحُجَجِه.

(1) الشَّوكاني، فتح القدير: 3/ 567.
(2) الزَّمخشري، الكشّاف: 2/ 578، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/ 714.
(3) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 9/ 4890 - 4891.

علَّة إسنادِ الأمرِ بالإحراقِ إلى جميعِهم:

أُسْنِدَ قولُ الأمر بإحراقه إلى جمعهم؛ لأنَّهم قبلوا هذا القولَ وسألوا مَلِكَهم - وهو النُّمروذ - إحراقَ إبراهيمَ ﷺ فأمَر بإحراقه؛ لأنَّ العقابَ بإتلافِ النُّفوس لا يملكُه إلّا وُلاةُ أمورِ الأقوام[1]، ولأن في قلوبهم وأنفسهم كمال إحساس بضعفهم جميعًا في مقابلِ واحدٍ فقط؛ هو إبراهيم ﷺ؛ لأنَّ الله قد جعلَه أُمَّةً في قوله وفعله، وفي أبصار قومه وبصائرهم.

إحـراقُ الـقَـوي ليـس كـإحـراق الضعيفِ

دلالةُ عطف ﴿وَٱنصُرُوٓاْ﴾:

قولُه تعالى: ﴿وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ أمرٌ منهم للأخذِ بثأرِهم عن الحَطْمِ الَّذي أوْقعه إبراهيمُ ﷺ في آلهتِهم، حيث صغَّرَ به أمرَهم، وأضْعفَ به شأنَهم، وأذلَّ كبرياءهم[2]، وقد سمَّوْا هذا نَصْرًا بناءً على زعمِهم ووهمِهم، وإن كان في حقيقته هزيمةً نكراء، وكِبْرًا في الدِّفاع عن ضلالهم، فعطفُ هذه الجملة على ما قبلها من عطف العلَّة والسبب على المعلول والمُسبَّب؛ فهي مِن تمام ما قبلها، وسبحان مَن أظهر ضعفهم وباطلهم على ألسنتهم؛ فكيف تُنصر الآلهةُ؟، أهي الناصرةُ أم المنصورةُ؟!

إنـمـا جُـعِـلَ الـلـسـانُ عـلى الفؤاد دليلًا

فائدةُ الإضافةِ في ﴿ءَالِهَتَكُمۡ﴾:

أفادت إضافةُ (آلهة) إلى ضمير المخاطَبين بقوله تعالى: ﴿ءَالِهَتَكُمۡ﴾ لإثارةِ الحَميَّةِ الجاهليَّة والعصبيَّةِ الطّائشة في نفوس الظّالمين للمسارعة بالانْتقام من إبراهيمَ ﷺ الَّذي حطَّم آلهتَهم وكسَّرَ معبوداتِهم الباطلة.

بـيـانُ كِـبْرِهـم وإثـارتـهـم الـعـواطـف المنحرفة للانْتقام

بلاغةُ جملةِ الشَّرطِ ﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾:

ختمَ النَّظمُ الكريمُ الآيةَ بجملةِ الشَّرط ﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾؛ أيْ:

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 105.
(2) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 9/ 4891.

إنْ كنتم ناصرينَ آلهتَكم نصْرًا مُؤزَّرًا فاخْتاروا له ذلك، وإلّا فرَّطتم في نُصرتها، وكأنَّكم لم تفعلوا شيئًا ما فيها، وذلك لحثِّهم على تحريقه نُصرةً لآلهتِهم، فأخَّر جملةَ الشَّرطِ لهذا الغرض، ويُشعرُ بذلك العدولُ عن: إنْ تنْصروا آلهتَكم فحرِّقوه[1]، فجوابُ الشَّرط مُقدَّر، والمُقدَّر كالثابت، وفي نظم جملة الشَّرط مؤخرةً إطنابٌ؛ فإن بها يتكرر معنى الأمر بالإحراق ونُصرة الآلهة؛ إبلاغًا في دفع ما أحسُّوا به مِن كمال ضعفهم وفسادهم وحقارتهم أمام إبراهيم عليه السلام.

حثُّ الظّالمين على الثّأر من إبراهيمَ عليه السلام

إيثارُ أداةِ الشَّرط ﴿إِن﴾:

آثرَ نظمُ الآية استعمالَ أداةِ الشَّرط ﴿إِن﴾ للدَّلالة على أنَّه كان في بعضِهم تردُّدٌ أو عطفٌ أو عدمُ إيمانٍ جازمٍ بما هم فيه من الضَّلال[2]، ويجوز أن تكون على معنى الفرض والتقدير؛ أيْ: بمجرَّد توهُّم إرادة فعل النُّصرة فاختاروا له ذلك التحريق.

قطعُ أيِّ تردُّدٍ في إحراقِ الدّاعي إلى الحقّ

دلالة ﴿كُنتُمْ﴾:

عَبَّر التنزيل الحكيم بمادة الكون - وكان من الممكن أن يُقال: (إن فعلتم)؛ لأن القائلين أرادوا تحريك مخاطبيهم بقوة إلى فعل النُّصرة بالتحريق؛ والمعنى: إن كان من شأنكم وديدنكم وفي طبعكم ومُكنتكم أن تفعلوا ذلك؛ أيْ: أنتم أهل لذلك كلِّه، وإلّا فالمهانةُ والعارُ والشَّنارُ[3]، واتركوا الجدالَ فإنَّه يُورِثُ ضدَّ ما تريدون، ويُؤثر عكسَ ما تطلبون[4].

من شأن الرؤساء تحريض الأتباع

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الحَرْق والتَّحريق:

الحريقُ: النّار، والحَرْقُ: فعلُ الإحراق، يُقال: أحْرَقَ كذا فاحْترق،

الحَرْقُ إيقاعُ الحرارة في الشَّيء، والتَّحريقُ المبالغةُ فيه

(1) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 65.
(2) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 9/ 4891.
(3) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 9/ 4891.
(4) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 444.

قال تعالى: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢﴾ [الحجّ: 22]؛ أيْ: عذابَ النّار، فحرقُ الشَّيء: إيقاعُ حرارةٍ فيه من غيرِ لهيب، كحرقِ الثَّوب بالدَّقّ[1]، والتَّحريقُ: المبالغةُ في حرقِ الشَّيء، قال تعالى: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ [طه: 97]، حتَّى إنَّه اسْتُعيرَ للمبالغةِ في الأذيَّة في قوله: أحرقَني بلومِه: إذا بالغَ في أذيّتِه بلَوْم[2].

(1) ابن فارس، المُجمَل، والرّاغب، المفردات: (حرق).
(2) الرّاغب، المُفردات: (حرق).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 33 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-75-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 33 : المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-75-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»